



Pratidhwani the Echo

A Peer-Reviewed International Journal of Humanities & Social Science

ISSN: 2278-5264 (Online) 2321-9319 (Print)

Impact Factor: 6.28 (Index Copernicus International)

Volume-VI, Issue-IV, April 2018, Page No. 364-371

UGC Approved Journal Serial No. 47694/48666

Published by Dept. of Bengali, Karimganj College, Karimganj, Assam, India

Website: <http://www.thecho.in>

Contribution of Khalil Ahmad Saharanpuri to the development of Arabic language and literature in the Indian sub-continent

Md. Hamid Uddin

Asst. Prof., Dept. of Arabic, Patherkandi College, Patherkandi, Assam, India

Abstract

The most prominent scholar, Khalil Ahmad Saharanpuri (1852-1927) was one of the luminaries of Arabic Studies in India. He had mastery over the commentary of the holy Quran, Fiqh (Islamic Jurisprudence), Sirat (The Biography of Muhammad), Arabic studies and Islamic history. Born at Ambehta of Saharanpur, UP, he acquired vast knowledge on various subjects from the then prominent scholars; like Maulana Mamluk Ali, Maulana Sakhawatullah of Ambehta and Rashid Ahmad Ganguhi. He studied Arabic literature from Moulana Faizul Hasan a Professor of Oriental College, Lahore, who was also a famous literary personality in the Indian Sub-Continent. After that Khalil Ahmad worked as a teacher in different educational institutions in different cities of India; like Munger, Bhupal, Guwalior, and finally at Madina of Saudi Arabia, where he served till his death.

Being an eminent scholar of Islam, Arabic language and literature, Saharanpuri had established himself as a prominent writer in Arabic. He has written several books on literature, theology and also on different social issues.

Of late, the contribution of Khalil Ahmad Saharanpuri to the development of Arabic and thus Hadith literature has emerged as an important topic for research. But so far no extensive study has been carried out on Saharanpuri's contribution to the development of Arabic language and literature. Among his contributions "Bazlul Majhud fi Halli Sunane Abi Daud" is famous in the field of hadith literature in the world.

مما يسعدنى جدا أن أقدم قلمى حول الموضوع المحدد "مساهمة خليل أحمد السهارنفورى فى تطوير اللغة العربية وأدائها فى ربوع الهند". كما يعرف أن الهند وبخاصة محافظة سهارنفور قد شهدت مؤلفات كثيرة فى المجالات المختلفة ومنها المؤلفات التى تتعلق بالحديث الشريف ومنها حاشية صحيح البخارى لأحمد على السهارنفورى، والتعليقات والحواشى على سنن أبى الترميذى، والتعليقات والحواشى على مشكاة المصابيح لأحمد على السهارنفورى، وبذل المجهود فى شرح سنن أبى داؤد لمولانا خليل أحمد السهارنفورى، وتراجم الأخبار من رجال معانى الآثار للسيد محمد أيوب السهارنفورى، تصحيح الأغلاط الكتابية الواقعة فى نسخ الطحاوى، والحاشية على شرح معانى الآثار، وتصويب التقليل الواقع فى تهذيب التهذيب لمحمد أيوب السهارنفورى، الدر المنصور على سنن أبى داؤد لمحمد عاقل السهارنفورى وغيرها. وحاشية فوائد مكية للمقريء محمد سعيد المفتى بجامعة مظاهر العلوم بسهارنفور، وتيسر التجويد

للمقري عبد الخالق السهارنفوري، وشرح شاطبية للمقري محمد سليمان السهارنفوري، ومظاهر التجويد للمقري محمد ابراهيم السهارنفوري وغيرها وما عدا ذلك ان هناك آلاف من المؤلفات في المجالات المختلفة في هذه المحافظة. ومع هذه كلها، فقد شهدت أرض سهارنفور عديدا من الأدياء والشعراء والكتاب الذين نالوا شهرة واسعة بأعمالهم الأدبية والعلمية والدينية لتطوير اللغة العربية وأدابها. وقد خلف هؤلاء الأعلام البارزة مؤلفات عديدة في شتى الموضوعات من الأدب والنقد والإجتماع والسياسة كما خلفوا مقالات عديدة علمية وقصص دينية إسلامية، ومن أشهرهم: الشيخ محمد قاسم النانوتوي المتوفى سنة 1296هـ، والشيخ والفقير رشيد أحمد الكنكوهي المتوفى سنة 1323هـ، والشيخ المحدث محمد يعقوب النانوتوي المتوفى سنة 1302هـ، والشيخ العلامة محمود حسن الديوبندي المتوفى سنة 1297هـ، والشيخ العلامة أشرف على التهانوي المتوفى سنة 1362هـ، والشيخ المحدث حسين أحمد المدني المتوفى سنة 1377هـ، والشيخ والمفتي شبير احمد العثماني المتوفى سنة 1369هـ، والشيخ المفتي عزيز الرحمن العثماني المتوفى سنة 1347هـ، والشيخ المفتي عتيق الرحمن العثماني المتوفى سنة 1984م، والشيخ المقري محمد طيب القاسمي المتوفى سنة 1297هـ ومن هؤلاء الشخصيات البارزين فضيلة الأستاذ الشيخ خليل أحمد السهارنفوري وهو الشيخ العرب والعجم وحافظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والعالم الفقيه ومحي السنة قانع البدعة وشعاره طريقة الرسول ﷺ. وينسب نسبه إلى الشيخ إبراهيم خليل أحمد الأنصاري ويتصل نسبه الطاهر إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري الخزرجي "رض".

إن خليل أحمد السهارنفوري أحد نبغاء الأحناف، الذي مدى خدماته الجليلة تجاه ترقية الدراسات العربية وازدهارها. قد رزقه الله عز وجل الموهبة الكبرى والمشاركة الملموسة في كافة العلوم العربية، وأحرز الكمال والتفوق في علم الحديث الذي هو باللغة العربية حتى سجل عنه صاحب تاريخ بغداد "الإمام المقدم في زمانه"، قام بخدمات العلوم العربية طوال حياته من وراء التدريس والتأليف وكتابة الرسائل وإلقاء الخطب الغزيرة بالمواد المهمة.¹

وممن قبضه الله سبحانه تعالى لخدمة الدين الحنيف وحفظ التراث النبوي الأصيل الذي هو بسائره في اللغة العربية الفصيحة فضيلة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري وكان شاما بين علماء عصره ومحدثا بمعنى الكلمة. لقد رزقه الله تعالى فهما ثاقبا، علما رصينا ومعرفة تامة في علوم العربية ولا سيما في الأحاديث النبوية لأن مباحثه الحديثية تحتل مكانة مرموقة لدى المحققين اللذين لهم علو الكعب وطول الباع في هذا العلم الشريف.

كما أن كتاباته القيمة تزرع بعلم جمة تعم منفعتها للأساتذة والطلاب معا ولا سيما المولعين بتحصيل البراعة في العربية، وإنه خلف مؤلفات كثيرة حاشدة بمعارف عظيمة في اللغة العربية التي تشهد بدوره البارز في تنمية الدراسات العربية خلال بذل جهود المضنية في مجال التأليف.

ومما لا ينسى أنه لعب دورا هاما في ترقية الحديث الشريف بطرق شتى من بين إلقاء الدرس الذي يثلج الصدور ويروح القلوب فأعد طائفة كبيرة تعنى بترقية الحديث الشريف وتهدف إلى تزويد آلاف من الناس بمعارف حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فأثمرت مساعيها المباركة بإذن الله تعالى لأن كل واحد منهم يشكل مكتبة سائرة تعبر عن مقصد صاحب الشريعة بأسلوب رائع، فخدماتهم الضخمة كلها تعود إلى الشيخ خليل أحمد السهارنفوري لأنهم رووا من منله العذب الصافي.

وذلك بالإضافة إلى تنمية الحديث الشريف من خلال التأليف حول الحديث ولا سيما "بذل المجهود في حل سنن أبي داود" لأنه مما يؤكد للعلماء بدقته في علوم الحديث، تلقاه الجاهذة بقبول واسع وألقى عليه بالغ كلمات الثناء لأنه ألقى الضوء المشيع حول الحديث فقيها وحديثا فاعتز به الفقيه والمحدث معا، قلما يوجد له مثل، اعتمد الشيخ على الأقوال الراجحة حول رواية الحديث التي نقلت عن أئمة الجرح والتعديل مثل: الشيخ يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن المهدي ومن إليهما ولم يأل جهدا في تحقيق بعض الروايات المهمة وإيضاح معاني الحديث بشكل ناجح بجانب تقديم التأويلات الأنيقة من عند نفسه.

ومما امتاز به مؤلفه أنه متوفر بعلم لا يصل إليها الشراح عادة، وأن الشيخ يحترز عن نسبة الأخطاء إلى الرواة بل يصرف جهده البالغ في التأويل على حد مستطاع وبجانب ذلك ألقى بحوثا قيمة حول القضايا الفقهية في ضوء الاحاديث الشريفة. ومن ثم يخضع لأعماله الجليلة حول الحديث كبار العلماء.

¹نزهة الخواتم: 136-133/8.

ويحسن لى أن أبين من خدمات الشيخ خليل أحمد السهارنفورى تجاه الإحتفاظ بالسنة المطهرة عبر حياته السعيدة ما يشهد باقتنانه التام فى هذا العلوم المبارك أى علم الحديث بالإضافة إلى التصلع البالغ فى علوم أخرى مثل التفسير والفقہ والبلاغة وما إلى ذلك من العلوم الالهية والعالية.

تكرم الله عز وجل عليه عميق وفضل جزيل واطلاع غزير وكان من أجل المحدثين فى الهند شاعت فيوضه العلمية فى بلاد العرب والعجم حتى اعترفوا بمكانته السامية فى علم الحديث. وذلك أنه لما ارتحل إلى المدينة المنورة عام 1344هـ المطابق 1945م وعزم على الإقامة هناك وجعل تأليف "بذل المجهود فى حل سنن أبى داؤد" شغله الشاغل ثم انقطع من التدريس والإفادة واکمل تأليف الكتاب المذكور، كان الملك المعظم السلطان عبد العزيز السعود بالمملكة العربية السعودية والمفتى الأكبر القارى عبد الله بن سليمان يعقد أن من الشيخ المجالس العلمية فينصحها بالعلم والأدب ويكرمانه بالقبول الواسع.

كما أن قلبه كان زاهر بالعلوم والمعارف لأنه كان يتدرس الجامع الصحيح للإمام البخارى وصحيح مسلم وسنن أبى داؤود والترميمى وشرح نخبة الفكر بجانب إلقاء الدرس حول خمسة عشر كتابا أكملها على ميعادها بكل تيقظ ونشاط. وكان يموج فى صدره عاطفة خدمة الحديث النبوى يشير إلى ذلك كتابه الشهير المسمى "بذل المجهود فى حل سنن أبى داؤود" لأنه ما قام به من الخدمات الجليلة كثيرة الإفادة لم يوجد إلا قليلا يضاف إلى ذلك أنه ألف كتابا هامة حول موضوعات شتى، وكل من مؤلفاته تشهد بقدومه الراسخة فيما يقيد بالكتابة، وكان صاحب الرأى فيما يلقى من الفتاوى وإنه كان مولعا بخدمة العلوم الدينية ولا سيما الحديث الشريف منذ التخرج فى مظاهر العلوم بسهارنفور فلذا ارتحل إلى لاهور للشيخ الأديب فيض الحسن السهارنفورى وأكمل العلوم الأدبية ثم عين مدرسا فى الحديث الشريف والفقہ وما إلى ذلك من العلوم الشرعية فى كل مدن من بهوبال وبهاولفور وسكندراباد وبريلى إلى جانب ذلك أنه قام بالتدريس والإفادة فى دار العلوم ب"ديوبند" مدة قليلة ثم انتقل إلى مظاهر العلوم سنة 1314هـ حسب أمر الشيخ العلامة رشيد أحمد الكنكوهى وأخذ يوضح التوضيح والتلويح وديوان الحماسة وشرح الوقاية وشرح نخبة الفكر والموطأ للإمام محمد والموطأ للإمام مالك والسراجى. ونظرا إلى مواهبه الواسعة ولى مهام منصب إدارة مظاهر العلوم وفى عهده سارت المدرسة إلى اتجاه الرقى والازدهار حتى شهدت تقدما كاملا فى كل قسم من أقسامها.

كما أنه تلقى منه العلوم الظاهرة جم غفير لا يحصى عددهم إلا الله. منهم الشيخ محمد يحيى الكاندهلوى والشيخ الجليل محمد عاشق إلهى الميرتهى والشيخ الحافظ فيض الحسن الكنكوهى والداعى الكبير محمد إلياس الكاندهلوى ومن إليهم من البارعين فى العلوم الشرعية.

ولد الشيخ خليل أحمد السهارنفورى فى شهر دسمبر سنة 1852م الموافق سنة 1269هـ فى قرية نانوته من محافظة سهارنفور ونشأ فى بلدة أنبيته واشتغل بالعلوم من صباه ودرس فى دار العلوم الإسلامية بديوبند، ثم فى سهارنفور، فدرس علوم الآلية، والفنون العربية والعلوم العقلية والنقلية. وبعد التخرج عين مدرسا حين بلغ تسع عشرة سنة وفى أثناء ذلك ذهب إلى مولانا فيض الحسن الذى هو من أكبر علماء الهند وأدبائها فى عصره، وكان أستاذا فى كلية ورينتل بلاهور وبعد ما تم له الفراغ من الأدب العربى قد انتخب رئيس المدرسين فى المدرسة العربية فى مانغور، وأنه بايع رشيد أحمد الجنجهوى عملا بإرشاد الشيخ قاسم النانوتوى. إنه رحل إلى الحرمين الشريفين وحج عدة مرات. وفى النهاية أنه استوطن بالمدينة المنورة وألف هنا كتابه المشهور بذل المجهود، وكان يدرس هنا سنن أبى داؤد الشريف بأبصار علماء المدينة ولبى نداء ربه سنة 1346هـ عندما جرى على لسانه ذكر الله عز وجل ودفن فى جنة البقيع.

إن خليل أحمد السهارنفورى قد أعطاه الله نعمًا كثيرة، وكان جامع المعقولات والمنقولات وحافظ القرآن الكريم والحديث الشريف وأديبا بارعا ومناظرا ماهرا وصحفيًا كبيرًا وكتابيًا شهيرًا ومؤرخًا ضليعًا وسياسيًا مجربًا وله مهارة كاملة فى الأدب العربى ومعرفة جيدة فى السيرة والثقافة العربية والغربية، وزان له أسلوب خاص فى تدريس الحديث؛ وله مؤلفات عديدة فى الموضوعات المختلفة ومن أشهرها: بذل المجهود فى حل أبى داؤد، والمهند والمفند، تنشيط الأذان، ومطرقة الكرامة على مرآة الإمامة، وهداية الرشيد فى إهتام العنيد، وإتمام النعم على تبويب الحكم وغيرها.

وإنه من الرجال الذين ساهموا فى ترقية الحديث النبوى فى الهند لأن هذه البلاد وإن كان حظها ضئيلا فى نشأة الأمر فى الرجال والأفذاذ ولكن يرى أن سحب الرحمة الإلهية قد جرت من بداية العصر الألف الثانى جودا غزيرا، فنشأت شخصيات وعقريات لا يماثلها البلاد الإسلامية الأخرى فأول من قام بدور مهم فى نقل الأحاديث النبوية إلى هذا الإقليم هو الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوى المتوفى سنة 1052هـ ثم تصدى له ابنه نور الحق الدهلوى المتوفى 1073هـ ثم المتخرجون من مدرسهما اقتفوا آثارهما ولعبوا دورا هاما إلى أن جاء الجهبذ الكبير المحدث الشهير ولى الله بن عبد

الرحيم الدهلوى المتوفى 1172هـ فاهتم بخدمة التراث النبوى بجميع شعبه ونواحيه، فلما يسبق له نظير ثم تبعه أجياله البررة من بينهم عبد العزيز الدهلوى وابن أخيه إسماعيل الشهيد ثم قام بترقية الأحاديث فى بلاد الهند الحاج امداد الله المهاجر المكي وحجة الإسلام محمد قاسم النانوتوى، والعلامة رشيد احمد الجنجوى والشيخ خليل أحمد السهارنفورى، ورجال من النابغين فى كاندله وديوبند وتهانه بهون وسهارنفور وجنجه فى العصور المختلفة حتى أصبحوا محل إعجاب وتقدير للأمة الإسلامية وسطعت أنوار الرسائل المصطفوية فى شبه القارة الهندية بجهودهم الجبارة.

وهذه حقيقة واضحة أن لا يمكن لنا أن ننكر دوره المهم للشيخ خليل أحمد السهارنفورى فى ترقية الدراسات العربية بأساليب رائعة متنوعة وأنواع شتى. والجدير بالذكر أن مآثره القيمة حول ترقية الدراسات العربية تتجلى أمام الباحثين تماما وإنه بذل كل ما حوله الله تعالى من القدرات العظيمة تجاه ترقية هذه الدراسات العربية المباركة لأنه كان على ثقة تامة أن المساعى التى تبذل حول رقى هذه الدراسات تثمر بإذن الله لما يعلم أنها خالدة ضمن الله عز وجل وحفظها حيثما كفل حفظ القرآن الكريم على سبيل التضمن لأنه بالعربية وهو باق إلى يوم القيامة وما يدلى من تفاسيره من الأحاديث الشريفة هى أيضا بالعربية فما دامت الأحاديث الشريفة والقرآن الكريم يدوم الدراسات العربية ببركة دوامها وهذا الذى حث الشيخ على المساهمة فى ترقية الدراسات العربية.²

أما خدماته تجاه ترقية الدراسات العربية من خلال التدريس والإفادة فهو أن الشيخ له مكان مرموق فى هذا المجال، ذاع صيته العلمى فى أقطار العالم فتوافد إليه من لا يحصى عددهم من الطلاب، كما أنه شرف كثيرا من المعاهد العلمية بإلقاء دروسه الغالية حول عديد من الموضوعات.³

إنه مع تخرجه فى العلوم تم تعيينه فى مظاهر العلوم بسهارنفور فركز عنايته الخاصة على التدريس والإفادة ثم دعاه خاله الشيخ يعقوب النانوتوى إلى "مسورى" لترجمة القاموس إلى اللغة الأردية، وتقلب فى "بهوفال" و"بريلى" و"بولبور" وديوبند كمدرس ثم انضم إلى مظاهر العلوم بسهارنفور وتولى رئاسة تدريسها فدرس كتب الصحاح الستة خلا سنن ابن ماجة ثم تولى رئاسته نظاراتها واستمر فى مظاهر تدريسها ونظارو وقدم خدمات ممتازة تزدهر بها الدراسات العربية.⁴

وإن إذا أمعنا النظر وجدنا أن مؤلفاته تمد الدراسات العربية بقسط كبير من الرقى والأزدهار وذلك أنه رحمه الله تعالى وقف حياته الكاملة لما يعود إليه ازدهار هذه الدراسات من التأليف وإلقاء الدرس باهتمام بالغ، فتلقى منه الدراسات العربية كثير من الناس وقاموا بدور مهم فى مجال ترقية الدراسات المذكورة بطرق شتى من تأليف كتب قيمة بالعربية بجانب نشر المجلدات العربية حول موضوعات متنوعة التى لقيت قبولا واسعا فى مشارق الأرض ومغاربها حتى عينت عديدة منها فى المقررات الدراسية فى كثير من المدارس العربية والمعاهد مختلفة، يعنى بها الباحثون عناية فائقة. والفضل يرجع إلى سماحة الشيخ خليل أحمد السهارنفورى لأن مساعيه المباركة أثمرت فى إيصال هؤلاء إلى هذا المقام الرفيع.⁵

كما أنهم لم يألوا جهدا فى إلقاء الدروس العربية فى معاهد مختلفة حتى أنجبت تلك المعاهد الطلاب الذين جعلوا خدمة الدراسات العربية شغلهم الشاغل وبذلوا كل ما فى وسعهم لترقية هذه الدراسات العربية من خلال تأليف كثير من الشروح العربية للحديث النبوى الذى هو المصدر الثانى للإسلام، يضاف إلى ذلك أنهم ألفوا كتبا كثيرة للفقه الإسلامى بالعربية الفصيحة تتجلى بها القضايا الفقهية بوضوح كامل. كما أن لهم باعا طويلا فى تفسير القرآن العظيم ومع ذلك كله لم يتخلفوا عن تأليف كتب التواريخ التى تمد بمعلومات واسعة فى اللغة العربية فاعتزت الدراسات العربية بإنجازاتهم العظيمة.⁶

ومن أهم الشروح للأحاديث النبوية التى قام بتأليفها العلماء فى الهند هو بذل المجهود. لا شك أن بذل المجهود الذى الفه المحدث الكبير خليل أحمد السهارنفورى من أهم الشروح لسنن أبى داؤد وذلك لأنه يحتوى على مزايا قلما توجد فى شرح سواه وإن كل من قام بشرح سنن أبى داؤد يبلغ ما بلغ المحدث الشهير من جودة الوضع وشرح الأحاديث بإستيعاب

². تاريخ المظاهر: 211/2.

³ علوم الإسلامية فى الهند ص-102 و103.

⁴. تطور علم الحديث فى الهند: ص-156، 157.

⁵. تطور علم الحديث فى الهند: ص-157.

⁶. حياة خليل: ص، 547-552.

الأطراف وذلك أن أول شرح لأبي داود هو المعالم السنن للإمام الخطابي بينه وبين أبي داود نحو ثمانين عاما فإنه شرح الحديث شرحا فقهيا لا حديثيا وهو أبرع الشرح من جهة القضايا الفقهية لكنه لم يتعرض لحل التعليقات ما تحتاج إليه الأجيال المتأخرة، وألف المتأخرون من أهل الهند فيه ولكن الصائب من جهة الحل الصائب المقنع لا تسمن ولا تغنى من جوع. فقام الجهبيز الكبير أحمد السهارنفوى نزيل المدينة المنورة بتأليف شرحه القيم وسد هذا الفراغ ملاء هذه الفجوة يحتاج إليه كل من حاول تدريس الكتاب من حل الأغراض وشروح المتون بما تقر العيون. ومن العامل الرئيسي الذى أدى إلى تأليف هذا الشرح أنه خطر بباله حينما قرأ سنن أبي داود على شيخه يكون على سنن أبي داود شرح مستقل.

ومن أهم ما تمتاز به هذا الشرح أنه ينتفع به التلاميذ والسيوخ فى آن واحد، وأن مؤلفه لخص البيان فى رجال الأسانيد من "تهذيب التهذيب" و"الميزان" وغيرهما حتى يتلألا أمام الباحث حال الإسناد واهتم بضبط الأسماء فى كل مؤلف ومختلف لى يزول الاشتباه للنظر وشرح المتن شرحا وافيا بالمقصود فإن كانت هناك رواية أوضح منه فى السنن أو الصحاح يشير إليه كما أنه اعتنى ببيان مختلف الرواة فى الأسانيد واختلاف الرواية فى اللفظ مع ترجيح بعضها على بعض بالإضافة إلى ذكر المباحث الفقهية والحديثية على حد سواء تبرد غلة الفقهية والمحدث معا.

كما أن السنن لأبي داود يعد من الأصول الستة فى الحديث التى هى الصحيح البخارى، والصحيح مسلم، والسنن لأبي داود، والسنن للنسائى، والجامع للترميدى، والسنن لابن ماجه. إن مؤلف هذا الكتاب ركز عنايته الخاصة بجمع أحاديث التى يتمسك بها الأئمة وهو كتاب قيم يحتاج إليه كل من يريد البراعة فى علم الحديث.

كما أن الشيخ حاز قصبات السبق فى مجال التأليف أيضا حتى ألف "المهند على المفند" المعروف بالتصديقات لدفع التلبيات الذى ألفه الشيخ عام خمسة وعشرين ومئة وألف حينما حال جدار قوى بين أهل التوحيد والسنة والمبتدعين بعد نشر كتاب الشيخ المسمى بـ"البراهين القاطعة" الذى أجاب به عن إيرادات عبد السميع اللتى وجهت إلى أهل السنة فى كتاب يسمى بـ"الأنوار الساطعة" حتى وصلت آثاره من الهند إلى أهل الدول العربية. بذل المبتدعون كل ما فى وسعهم ضد أهل التوحيد والسنة من خلال تأليف الكتب وإلقاء الخطب والإتهام بأقوال مكنوبة مخترعة حتى حرفوا عبارات أهل السنة وحثوا علماء الحرمين الشريفين على مخالفتهم وتطرقت هذه الحرب إلى طريقة أخرى بعد ارتحال الشيخ الحاج إمداد الله المهاجر المكى إلى مكة المكرمة والشيخ رشيد أحمد الكنكوهى اجتمع المبتدعون وشكلوا حركة وشمروا عن ساق جدهم لإنجاح هذه الحركة الشنيعة.⁷

وقائد هذه الحركة أحمد رضا خان البريلوى ألف أولا كتابا ضد علماء ديوبند نقل فيه عباراتهم وحرف مطالبها واتهمهم بالكفر والإرتداد حتى عدهم مع "غلام أحمد القاديانى" الذى أدعى النبوة وأجمع العلماء على تكفيره؛ وأصق الكفر بالشيخ إسماعيل الشهيد بسبعين سببا مخترعا من عند نفسه ثم لم يقف على ذلك بل ألف كتبا باسم "مهيد الإيمان بآيات القرآن" بجانب تأليف كتاب آخر يسمى "حسام الحرمين على منحر الكفر والمين" جمع فيه الآيات القرآنية ثم نقلها إلى الأردية إلى ثمان وثمانين صفحة ثم كتب عقائد علماء ديوبند مكنوبة عليهم واحتج عليهم بالآيات القرآنية ثم سافر إلى الحجاز المقدس وعرض الكتاب المذكور على علمائهم وطلب منهم أن يوافقوا على تكفير أصحاب هذه العقائد وأثار عاطفتهم، ولكن علماء الحرمين الشريفين لم يقفوا باللغة الأردية وإن البريلوى نقل عبارات علماء ديوبند اللتى هى باللغة الأردية إلى اللغة العربية محرفا فلم يطلع علماء الحرمين فى ذلك ووافق بعضهم على ذلك، وفى نفس ذلك الوقت كان الشيخ خليل أحمد السهارنفورى والشيخ حسين أحمد المدنى مقيمين بالمدينة الذين هم يعرفون الشيخ خليل أحمد السهارنفورى والشيخ حسين أحمد المدنى تماما، استفتاء يتضمن سبعة وعشرين سؤالاً وجه إلى علماء ديوبند واستفسروا فيه عن عقائدهم بجانب الإستفسار عن السبب الذى حث البريلوى على الإتهام بتلك التهم فكتب الشيخ خليل أحمد السهارنفورى أجوبة تلك الأسئلة عن علماء ديوبند بأسلوب رائع يسمى "المهند على المفند" فلما قرأ هذا الكتاب علماء الحرمين الشريفين ومصر والشام كلهم وافقوا على ذلك.⁸

والذى تجدر ملاحظته هنا أن مؤلفه الهام الذى مارس كيبيرا فى ترقية الدراسات العربية وإزدهارها والذى طار صيته فى أنحاء العالم وعم نفعه لكل قارئ هو كتابه القيم بذل المجهود فى حل سنن أبي داود الذى عد من إنجازاته العلمية المهمة، وكان أراد فى البداية أن يسميه حل المعقود الملقب بالتعليق المحمود على سنن أبي داود شرع فى هذا الأمر

⁷ تذكرة خليل: ص-514.

⁸ حياة خليل : ص-560-565؛ تذكرة خليل: ص-514.

الشاق مرات عديدة لكنه انقطع، ثم لما كان معلماً ثانياً في دار العلوم بـ"ديوبند" عام أحد عشر وثلاث مئة وألف استعد لتأليف هذا الشرح وكتب عليه حل المعقود مرة ثالثة، لكن الأشغال العلمية المتنوعة، الدروس الكثيرة، الأسفار المتوالية والأمور الإدارية فوتت الفرصة عليه لإتمام هذا الشرح بل لإستمراره، ومضت على ذلك مدة، فلما ولي تدريس الصحيح للإمام البخاري في مدرسة مظاهر العلوم سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة وألف ذكر أمنيته تلك حينما يمشی في الطريق ذاهباً إلى المدرسة وقد رافقه التلميذان السعيديان له أحدهما الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي والآخر الشيخ حسن أحمد السهارنفوري وطلب منهما المساعدة على ذلك فلباه على طلبه، ثم ارتحل إلى الحجاز بعد تسع سنوات سنة أربع وأربعين وثلاث مئة وألف ومعه تلميذه البارح الشيخ زكريا الكاندهلوي وأتم هذا الكتاب قبل وفاته بشهرين الثالث والعشرين من شعبان عام خمسة وأربعين وثلاث مئة وألف، ودعا علماء المدينة وأصدقاءه إلى الطعام فرحاً وأرسل إليهم رسائل الدعوة باللغة العربية الفصيحة.⁹

قد صرحت عن دراسة تحليلية لأعمال خليل أحمد السهارنفوري في الحديث النبوي؛ هو شرح قيم لسنن أبي داود ألفه الشيخ في ما تمناه منذ مدة مديدة. وامتاز هذا الشرح باهتمامه على فوائد كثيرة معتمداً على شروح مختلفة ومراجع شتى وبالتزام ما يلزم من البحث والتحقيق في هذا العلم المهم الشريف. إنه اهتم بأقوال الإمام أبي داود صاحب الكتاب وكلامه في الرواية أو في إيضاح بعض ما ورد في الرواية اهتماماً كبيراً بجانب اهتمامه بأمر هامة تالية: تركيز عنايته الخاصة على تصحيح نسخ السنن المختلفة المنتشرة. تطبيق الروايات بالترجمة وقد ظهرت في ذلك دقة فهمه وطول تأمله وحيث تكررت الأبواب دفع ذلك وذكر حكمة التكرار بأسلوب رائع.

إنه لخص البيان في رجال الأسانيد من "تهذيب التهذيب" و"الميزان" وغيرهما حتى يتلألاً أمام الباحث حال الإسناد واهتم بضبط الأسماء في كل مؤلف ومختلف لكي يزول الاشتباه للناظر كما أنه شرح المتن شرحاً وافياً بالمقصود فإن كانت هناك رواية أوضح منها في السنن أو الصحاح يشير إليها واعتنى ببيان اختلاف الرواة في الأسانيد واختلاف الرواية في اللفظ مع ترجيح بعضها على بعض بالإضافة إلى ذكر المباحث الفقهية والحديثية على حد سواء تبرد غلة الفقيه والمحدث معاً.

ومما أدى هذا الشرح إلى درجة ممتازة من بين الشروح أن أكبر الكتب التي تم تأليفها في الهند حول شرح كتب الحديث أو في إثبات المذهب الحنفي أو في مسألة خلافية كان يغلب عليها في العهد الأخير الأسلوب الكلامي والإستدلال العقلي وتكثر فيها اللطائف العلمية، ومع الاعتراف بقيمتها العلمية والكلامية وحسن قصد المؤلفين وعلو كعبهم في العلم يوحى عليها أنها لم تكن على طريقة المحدثين وشرح الحديث المتقدمين ويقف فيها الكلام على الرواة والجرح والتعديل وعلل الحديث وطبقاته وما إلى ذلك من المباحث الحديثية وعلى الرغم من ذلك أنه يتم تأليف هذا الشرح على نهج المشتغلين بالحديث والباحثين فيه وكبار الشراح اللذين تلقوا الأمة شروحهم بقبول واسع وانتفع بها طلبة العلم في كل عصر واشتمل على بحوث قيمة حول أصول الحديث.

ومن المباحث اللطيفة التي ظهرت فيها سلامة فكر المؤلف وإطلاعه الواسع على كتب الحديث، مسألة القسامة ويزول بكلامه اختلاف الروايات. سد الشيخ الفراغ الكبير وملاً الفجوة العظيمة في خدمة سنن أبي داود؛ وذلك أن أقدم شرح لسنن أبي داود هو "معالم السنن" للإمام الخطابي الذي بينه وبين الإمام أبي داود نحو ثمانين عاماً، فقد شرح الأحاديث شرحاً فقهياً لا حديثياً وإن كان أبرع شرح من جهة المسائل الفقهية وأعلها ولكنه لم يعرض لحل التعليقات بما يحتاج إليه الأجيال المتأخرة وشرح المتأخرون من أهل الهند فيها فوائد ولكن من جهة الحل الصائب لا تسمن ولا تغنى من جوع.

واحس شرح في كثير من الجهات هو كتاب "المنهل العذب المورود" للشيخ محمود الخطاب ولكن سرعان ما تغيرت خطته في الجزء الثاني والثالث فلم يكن على منوال واحد ثم لم يتم ومن قام لتكتمته لم يجر جريه.

ومن محاسن هذا الشرح وموضعه المهمة التي ظهر فيها جهد المؤلف وإمعانه: أحاديث الفتن والملاحم فإنه قد بذل قصارى جهوده في تعيين هذه الفتن التي أشير إليها في هذه الأحاديث واهتم بترجيح الراجح وعين بعضها باجتهاده واستقصائه ويظهر في كلامه في مثل هذه المناسبات ثقته بتحقيقه وجزمه بما توصل إليه في البحث وتأمل ولا يغلب عليه التواضع والتردد فيبحث هذا الجزم والثقة واليقين في نفس القارى.

كما أنه قد يتردد في صحة لفظ ورد في حديث فيجتهد في تحقيقه اجتهاداً بالغا ولا يدخر جهداً.

⁹ حياة خليل: ص، 568-573؛ مقدمة بذل المجهود: ص، 18 و19؛ علماء مظاهر العلوم سهارنفور وانجازاتهم العلمية والتأليفية: ص-94؛ تذكرة خليل: ص-324.

ومن خصائص هذا الشرح إيراد توجيهات أنيقة انشرجت لها صدر الجهابذة فإن الله سبحانه وتعالى قد خصه بنور في قلبه كانت تتفتح به ظلمات حلت في البين من مقاصد المؤلف أو كانت مشكلة من أغراض المشار في الحديث .
ألقي فضيلة الشيخ أنور شاه الكشميري كلمة الثناء حول هذا الشرح قائلا: وجه الله تعالى الشيخ الفقيه المحدث لخدمة سنن أبي داود فوفى كل الحق، شرح المتن وأقوال المصنف وقد كانت مستورة فجلاها وصعبة فسهلها وألناها كما ألين لأبي داود الحديث، وضبط التراجم وميز بين المفترق والمتفق وبين المؤلف والمختلف واستخرج الفقه فجاء تعليقا يشرح الصدور وينور القلوب ويكون وديعة له عند الله تعالى.
ومما يزيد أهمية هذا الشرح أنه من شروح سنن أبي داود الذي يعد من الأصول الستة في الحديث التي هي الصحيح البخاري والصحيح لمسلم والسنن للنسائي، والجامع للترمذي والسنن لابن ماجه. وأن المؤلف سنن أبي داود قد ركز عنايته الخاصة على جمع الأحاديث التي يتمسك بها الأمة وهو كتاب قيم يحتاج إليه كل من يريد البراعة في علم الحديث.

فنظر إلى هذه الرتبة القصوى لسنن أبي داود كشف الشيخ عن ساق الجد والاجتهاد لتأليف هذا الشرح القيم الذي أعجب الناظر ولكن عاقته عوائق الدهر عن الإسعاف وصادفته صوارف الزمان بكل جور واعتساف، فلم يزل يقاومها بكل همته واستقلاله ويصرف لمعارضها ثواقب العزم بغاية القوة والكمال إلى أن أيدته النفحات القدسية، والألطف العلوية فشرع في المأمول واجتهد في المسئول حتى يتم بأحسن ما يتمنى.

خلاصة القول أن هذه حقيقة جليلة أن الله سبحانه وتعالى خول فضيلة الشيخ خليل أحمد السهارةنفوري الأيوبي الأنصاري حظا وافرا من الكرامات الوهيبية والكسبية، استقبلته الحيلة في أسرة عريقة ذات مجد وشرف وترعرع في أحضان شخصيات بارزة مضافا إلى ذلك أنه تلمذ على كثير من العباقرة كما أنه أبرد منه ألوف من الطلاب غلثهم في التعليم الديني، يضاف إلى ذلك أنه ساهم مساهمة قيمة في ترقية الدراسات العربية وإنماء علوم الحديث النبوي الشريف بكل جد وجهد وخاصة بتأليف شرح قيم على أبي داود يسمى ب"بذل المجهود في حل سنن أبي داود".

المراجع الرئيسية :

1. خليل أحمد السهارةنفوري: بذل المجهود: المكتبة الخليلية، مظاهر العلوم السهارةنفوري، 1345هـ.
2. خليل أحمد السهارةنفوري: المهند على المفند: المكتبة الخليلية، مظاهر العلوم السهارةنفوري، 1325هـ.
3. خليل أحمد السهارةنفوري: البراهين القاطعة على الأنوار الساطعة: المكتبة الخليلية، مظاهر العلوم السهارةنفوري، 1304هـ.
4. خليل أحمد السهارةنفوري: هدايات الرشيد إلى أفهام العنيد: المكتبة الخليلية، مظاهر العلوم السهارةنفوري، 1306هـ.
5. خليل أحمد السهارةنفوري: تنشيط الأذان في تحقيق محل الأذان: المكتبة الخليلية، مظاهر العلوم السهارةنفوري.
6. خليل أحمد السهارةنفوري: فتوى خليلية: المكتبة الخليلية، مظاهر العلوم السهارةنفوري.

المراجع الثانوية:

1. أبو الحسن الحسن الندوي: المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي العلمي: ندوة العلماء، لكنو، 1998م.
2. الدكتور محي الدين الألوي: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية: دار القلم دمشق، 1987م.
3. الدكتور سيد رضوان على الندوي: اللغة العربية وأدبها في شبه القارة الهندية والباكستانية عبر القرون: مطبعة مكرم، طابعة كراتشي، 1995م.
4. الدكتور زبير أحمد الفاروقى: مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي حتى عام 1980م: دار الفاروقى للطباعة والنشر: دلهي الجديد، 1990م.
5. الدكتور عبد الحلیم الندوي: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند: مطبعة نوري المحمودة، مدراس، 1968م.
6. الدكتور عبد الرحمن البرني: علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث: أكاديمية شيخ الهند.
7. السيد محمد شاهد الحسن السهارةنفوري، أمين العام لمظاهر العلوم السهارةنفوري الهند: علماء مظاهر العلوم السهارةنفوري وإنجازاتهم العلمية والتأليفية.

8. الشيخ الحديث محمد زكريا: تاريخ مشائخ جشت: دار الكتب ديوبند، 1349هـ.
9. الشيخ الحديث محمد زكريا: مقدمة أوجز المسالك: دار الكتب ديوبند.
10. الشيخ الحديث محمد زكريا: تاريخ مشائخ جشت: دار الكتب ديوبند.
11. الشيخ الحديث محمد زكريا: مقدمة لامع الدرارى: دار الكتب ديوبند.
12. الشيخ الحديث محمد زكريا: أب بيتى: دار الكتب ديوبند.
13. الشيخ الحديث محمد زكريا: تاريخ مظاهر العلوم، (أردو): دار الكتب ديوبند.
14. الشيخ محمد اكرام: أب كوثر، رود كوثر (تاريخ هندوستان).
15. محمد حنيف الكنكوهى: ظفر المحصلين بأحوال المصنفين: مكتبة تهانوى، ديوبند، 1986م.
16. محبوب رضوى: تاريخ دار العلوم ديوبند (أردو)، دهلى، 1952م.
17. محمد شفيق القاسمى: نفحات، إدارة المعارف: كراتشى، باكستان.
18. محمد طيب: تاريخ دار العلوم ديوبند (أردو)، 1965م.
19. واضح رشيد الندوى: جامعة ديوبند: رسالتها وإنجازاتها، ديوبند.
20. Desai, Z.A., Centre of Islamic Learning in India, New Delhi, 1978.
21. S.M. Ikram: Civilisation of Muslim in India: New York, London, 1964.
W.W. Hunter: Indian Musalmans: delhi, 1969.